ألاعيب متوكلية

د. عبد الرحمن البيضانى



حظر التفاؤل على اليمن

لن ندعى لأنفسنا الذكاء والحذر والحيطة والحزم واليقظة ولسنا من الغرور بحيث نزعم للناس اننا لم نخدع فى حياتنا، ولم نرتكب أخطاء كثيرة ولم نسرف فى التفاؤل .

أبدا .ز أبدا لن ندعى شيئا من ذلك وسيعرف القراء عما قريب الشئ الكثير من أخطائنا وغلطاتنا حين يقرأون مذكراتى منذ تمرغت فى تراب المعلامة (الكتاب) الى حين عشت فى قصور الملوك كزعيم من زعماء العروبة رضوان الله علينا وعليهم اجمعين، نتلقى ترحيب الملوك ونتحلق على مآدبهم ونحصل على هداياهم وأوسمتهم .. والى حين ودعنا تلك القصور ورمينا الأوسمة وزهدنا فى المكاسب لنعيش مع شعبنا فى تشرده وآلامه ومآسيه. ونتفرغ لدرس مشكلته من جديد، نستعرض أخطاءنا ونعلنها بوضوح حتى لا يقع فيها غيرنا.

لقد لعب التفاؤل دورا خطيرا فى حياة اليمنيين وعقلياتهم وافهامهم حتى أصبح سجية من سجاياهم يتوارثها الأبناء عن الأباء لا فرق بين الأذكياء والأغبياء . وقد وجدوا فى تعاليم الاسلام ما يزيدهم تخلفا واعتمادا على التفاؤل فان الأحاديث النبوية كثيرا ما دعت اليه وأوصت به وحرضت عليه، كما نهت عن التشاؤم والتطير وحذرت أشد تحذير .

ولما كان حكام اليمن على مستوى عال من المكر والخداع بحيث لا يجاريهم أحد فى ذلك فقد استطاعوا أن ينشروا فى الشعب اليمنى روح التفاؤل بأساليب غاية فى المكر والدهاء حتى لا يدب الى قلب أى فرد يمنى اليأس منهم، أو الشك فيهم وفى عدلهم ورحمتهم ولو كانوا قد وضعوا حبل المشنقة فى عنقه ..

ولن تحملنا الخصومة لهم على انكار ما برعوا فيه من ذكاء ومكر وغش وانهم سبقونا فى هذا الفن، وتفوقوا علينا وعلى العالم أجمع. كما سبقونا وتفوقوا علينا فى العلم الذى مكنهم من أن يسخروا الشعب كله لعبادتهم من دون الله، وان يبيح لهم دمه وماله، وعرضه عن عقيدة وايمان وحب وموالاة .. ذلك العلم هو علم السمع والطاعة .

ولو أنه مما يعزى قلوبنا نحن اليمنيين ويهون علينا الخطب، ويعيد لنا بعض الثقة بأنفسنا هو أننا لم نكن وحدنا المتفائلين بهؤلاء الحكام بل يشاركنا فى ذلك من هم أعلى منا فى العلم والفهم والمعرفة بطبائع البشر وأخلاقهم .. ان غش حكام اليمن وخداعهم ومكرهم لم يكن كل ذلك مقصورا علينا بل تعدانا الى غيرنا وشمل الناس أجمعين من شعوب العرب وحكامهم وزعمائهم وقادتهم وسرى أيضا الى شعوب العالم فى الشرق والغرب .

لقد استطاع هؤلاء الحكام البارعون الماكرون الذين يتظاهرون بالدروشة والشعوذة أن يسلبوا شعوب العالم وحكوماتهم ما تمكنوا من سلبه بوسائل جديدة زودهم بها العصر الجديد.اتفاقيات،معاهدات،مواثيق،اتحادات،شركات،مساعدات اقتصادية ،ثقافية، اجتماعية، عسكرية، طبية، غذائية، وقروض ووفود للتهانى ، وللمفاوضات الى آخر ما فى القواميس الحديثة من مصطلحات تفتح لهم أبواب السلب .

حقا لقد هان الخطب ، وخفت المصيبة على اليمنيين بعد أن ساهم العالم كله فى الغباء ، والانخداع ، والتفاؤل ان الاستاذ عبد الرحمن البيضانى وزير اليمن المفوض فى ألمانيا الغربية ثم فى السودان فالمستشار الاقتصادى للدولة والذى نقدمه اليوم للأحرار جميعا أعاد الى ذاكرتى ما كان قد ابتلى به من التفاؤل وحسن الظن بمن تفاءلنا بهم من قبله، وأحسنا بهم

الظن، بل ورفعناهم الى السماء، وجعلناهم وسيلتنا الى الله، ودعونا لهم بالهداية والتوفيق فى السر والعلن .

ومن غريب الصدفة أن يعلن الأستاذ البيضانى صيحة الحرية عالية مدوية فى ألمانيا الغربية، وينطلق فى فضاء الله الرحب حر طليقا .. فى نفس الوقت الذى يقع صالح محسن شرف الدين السكرتير الخاص لجلالة الامام، والخادم اللصيق به الذى قضى عمره كله فى خدمته يقع فى السجن، ويشاع خبر اعدامه، وصالح محسن هذا كان فى سبيل التفاؤل بالحكام قد تنكر لجميع الناس حتى لزملائه وأصدقائه، وها هو يتجرع من الكأس التى شرب منها المتفائلون من قبله لم يشفع له سابق اخلاصه وطويل خدمته لمولاه ولا حرية المريرة للمتشائمين .

لقد كان الاستاذ البيضانى أشد حذرا ويقظة، وكان أذكى من أن يستبد به التفاؤ بعد ان اصطبغت أرض بلاده بدم الشاب الثائر حميد بن حسين الاحمر ووالده الشيخ حسين بن ناصر الاحمر وزميلهم البطل الشيخ عبد اللطيف بن راجح . ان مقتل هؤلاء الثلاثة الأبطال وهم رؤوس قبائل اليمن كان نذيرا لكل من له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، فقد ذهبوا ضحية التفاؤل وحسن الظن كما ذهب آباؤهم وأجدادهم من قبل.

لقد كان مقتل هؤلاء الثلاثة جديرا بأن يمحو من ذهن كل يمنى يحس بيمنيته فكرة التفاؤل فى السلام والوئام والحياة المستقرة مع هؤلاء الحكام .

ان القبائل اليمنية فى شمال اليمن وجنوبه لم تمحق شخصيتها وكرامتها وعزتها الا سجية التفاؤل وحسن الظن والاعتقاد بهؤلاء الذين ظلوا عبر السنين يطلبون من الشعب أن يحميهم ويرزقهم ويعبدهم. ثم لا يرون له حقا عليهم ولا فضلا، ولا يعترفون له بعزة ولا كرامة ولا آدمية ولكنهم يعتبرونه قطعانا من السوالم يذبحونه يوم تقضى بذلك أهواؤهم .

الا أن السجن والسيف ينتظران كل متفائل مخدوع وكل حسن الظن والاعتقاد بهؤلاء الحكام، ولن ينجو من ذلك سوى المتشائم الحذر، أو من يسعفه الحظ، ويساعده القدر، وتنقذه الصدفة.

وأننى لا أذكر جيدا بالغ تفاؤلى عام 1955 وقد وقع الامام فى الحصار، وأنقذته الصدفة من الموت المحقق .. أريد أن أقول أنقذته الصدفة ولن أقول البلاهة والغفلة والجهل، أو التفاؤل ممن حاصروه وأمطروا قصره بوابل من الرصاص .

لقد قال لى الامام أنه لا يوجد ما يقابل به نعمة الله عليه بعد أن تنقذه هذه المرة، وأفرج عنه الا أن يهب بقية حياته وكل ما يملك لاسعاد اليمن، وكان يكرر حمد الله ويثنى عليه على كل شئ حتى والله لقد كان يحمد الله على أنه أعاد بينى وبينه الصداقة والصحبة وكان يقول لبعض خاصته أن نفسى لم تطاوعنى ابدا على قتل الاستاذ رغم تحريض المعممين والأدباء ثم يربت بيده على ظهرى ويدعو لى بالخير .

وكان يعمل هذا الموقف وهذه الكلمات فى نفسى عمل السحر حتى لقد خيل لى أن الامام قد اصبح ألة مسخرة بيدى وأنه سيلبى كل مطالب الأحرار وجن جنونى واستبد بى التفاؤل الى مدى بعيد حتى كان بعض أصدقائى يستنكرون هذا الحماس والتفاؤل. ولما وصلت القاهرة كمستشار فى الشئون الخارجية لليمن مع الأمير البدر أعطيت التصريحات بشجاعة وسخاء وكرم فأعلنت عن قيام حكومة شعبية وعن عزم الامام لاخراج الأموال التى فى خزائن والده

الامام يحيى منذ 40 عاما لينفقها فى المشاريع المختلفة وأنه لم يبق فى نفسه مطمع الا اسعاد الشعب اليمنى ورفاهيته، وأنه سيندمج فى العروبة اندماجا تاما ويحقق الوحدة العربية قبل الناس جميعا وسيكفر عن جرائم الحكام السابقين ويصلح كل ما افسدوه .

قلت هذا متفائلا الى أبعد حدود التفاؤل وعدت الى اليمن رغم تحذير أكثر الأصدقاء، وخاصة أولئلك الذين استنكروا تصريحاتى ولكنى كنت متفائلا مخدرا مسحورا .

وفى هذه الفترة نفسها التقيت بالأستاذ عبد الرحمن البيضانى وتعرفت عليه لاول مرة، ووجدته أشد منى حماسا وأكثر تفاؤلا وعنده عدة مشاريع اقتصادية بحكم اختصاصه ودراساته، وقد شجعه على تقديم مقترحاته ما أعلنه الامام صراحة من عزمه على تغيير الوضع فى اليمن وأنه لم يبق أمامه سبل غير الاصلاح الشامل، وقد بدأ فعلا يجرى مشاوراته مع ولى عهده ومع الاستاذ نعمان فى تشكيل الوزارة وكلفهما بطلب الخبراء من مصر والسعودية.. وأوفدت السعودية وفدا للشئون الاقتصادية ولصك عملة يمنية . وكان هناك خبير اقتصادى من هيئة الأمم لنفس الغرض .

ورحب الرئيس جمال عبد الناصر بكل ما يطلبه الامام من خبراء وفنيين ومساعدات .

ولم يكتف الامام بالتصريحات بل كلفنا أن نستخرج من ادراج المخازن كل ما يوجد من تقريرات ومقترحات سابقة أو مشروع تشكيل الوزارة الذى كان الدكتور حسن بغدادى قد أعده منذ سنوات . ولكن لسوء حظ هذه المشاريع والمقترحات والنصائح والتفاؤل أنها اقترنت بقدوم شهر رمضان الذى أنزل فيه القرأن ، وكان فى قدومه الفرصة التى لم يفلتها الامام فان الواجب على المسلمين فى شهر الله المبارك هو الاعتكاف فى المساجد والتجرد للعبادة ولقراءة القرأن والصيام والامساك عن الشراب والكلام والابتهال الى الله بطول عمر الامام .

وقد انقضى شهر الصوم وانتهت بنهايته كل المشاريع وتبددت الأحلام فقد زهد الامام فى الحياة الدنيا وزينتها ومتاعها ورأى أنه لا خير لليمن وأهلها فى هذه الدنيا الفانية وان الدنيا الى زوال وما عند الله خير وابقى. فعلى اليمنيين أن يتحملوا الشقاء والبؤس والفقر والمرض فى هذه الحياة الدنيا ليعوضهم الله عنها فى الأخرة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وقد توعد بسيفه كل من يحاول تعكير صفو الحياة الحاضرة أو يدعو للتغيير، أو يفكر بأى تفكير غير عبادة الله والصلاة والصيام وطاعة الامام طاعة عمياء .. وكان فى مجلسه ولى عهده ووجوه دولته وأنا من الشاهدين وقد أعلنت توبتى من الدنيا ومتاعها وزخرفها وتطمانت ولزمت الصمت الى يوم أسعدنى القدر بالخروج فى قصة طويلة .

أما أخى الاستاذ البيضانى فقد استبد به التفاؤل بالرغم من مصارع الأولين ولعل حبه لبلاده ضاعف من تفاؤله، ومضى فى التفاؤل الى أن أعلن صيحته المدوية ورمى المنصب الرفيع، والمرتب الضخم ليعيش فى صفوف اخوانه الأحرار حتى تنتصر قضية الشعب التى لابد أن تنتصر ولو كره الظالمون .

أحمد محمد نعمان

دفاعا عن كرامة بلادى

ترجمة المحاضرة التى ألقاها الأستاذ عبد الرحمن البيضانى بالانجليزية فى مدينة (دور تموند) العاصمة الصناعية لألمانيا الغربية بدعوة من هيئة العلاقات الخارجية، وقد حضرها حوالى 800 شخص من أساتذة الجامعات ورجال الدولة وأصحاب الأعمال وممثلى الدول الأجنبية فى ألمانيا الغربية .

سيادة المحافظ ..
سيادة رئيس هيئة العلاقات الخارجية ..
سيداتى وسادتى ..

يسرنى أن أشكركم جميعا، داعين ومدعوين، لما أبديتم من كرم الضيافة والاستقبال وما أعربتم عنه من الترحيب القلبى، ولهذه الفرصة التى منحتونى اياها لأتحدث الى الرأى العام الالمانى عن مشاكل بلادى .

أنه قد يبدوا أمرا غريبا داعيا للتساؤل، لماذا خطب فى الرأى العام الالمانى عن مشاكل دولة صغيرة معزولة عن العالم ومتخلفة عن ركب الحضارة فى طرف من أطراف البحر الأحمر.

والجواب على ذلك هو أن ألمانيا قد أبدت اهتماما بالغا بالتطورات العالمية بسبب ارتباط أجزاء العالم بعضه ببعض مما جعل الأحداث والمشاكل العالمية التى تحدث فى دولة من الدول متبادلة الارتباط بالمشاكل العالمية، وفى بعض الحالات نجد أن حدثا صغيرا تافها فى حد ذاته فى دولة ما قد تصبح له أثار خطيرة تسير الى شتى الأنحاء .

ولا يحتاج الأمر الى تفكير عميق ليتحقق المرء من أن العالم، بمزيد الأسف منقسم الى عدة مذاهب فكرية وعدة مستويات مختلفة من التطور وعدة أنظمة متباينة من الأوضاع السياسية.

فاذا أصبحت دولة ما شيوعية أو اشتراكية أو فضلت الرأسمالية، اذا استثمرت دولة ما مواردها أو تركتها عاطلة عقيمة، اذا ظفرت دولة ما بالاستقلال أو ظلت مستعمرة، اذا اكتسبت دولة ما نظاما ديموقراطيا أو بقيت تئن من الدكتاتورية وأخيرا إذا وقفت دولة ما إلى جانبكم فى مشاكلكم الدولية أو تمسكت بالجانب المضاد لكم أو بقيت محايدة ففى جميع هذه الحالات لكم مصلحة فى متابعة المشاكل الخارجية ومحاولة إستمالة حلولها إلى إتجاهكم، وهذه ليست دعوة إلى التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى وإنما أدعوكم إلى فهم مشاكل هذه الدول من أجل أن تساهموا فى إيجاد الحلول التى تحترم قضية السلام والديموقراطية ورفاهية الجنس البشرى، الأمر الذى ينتهى إلى مضاعفة تطوركم الإقتصادى والسياسى ويؤول فى التحليل النهائى إلى مضاعفة سعادتكم ورفاهيتكم .

دفاعا عن كرامة بلدى

وإذا كانت هذه مصلحتكم فى أن تستمعوا إلى فان مصلحتى فى ذلك أن أوضح للرأى العام الألمانى أن حكومة اليمن الحاضرة لم تعبر عن تقاليد اليمن، وأخلاق العرب عندما إنتهكت حرمة العقود والإلتزامات التى وقعت عليها مع الأفراد الألمان والمؤسسات الألمانية، **أريد أن أدافع عن كرامة اليمن .. وأدافع عن كرامة حكومته التى إنفضحت فى جميع أنحاء العالم.**

إن الخلاصة التى أسعى إلى إيضاحها هى أن أشرح للعالم أن الشعب اليمنى كان ولا يزال الضحية الأولى لحكوماته الحاقدة الجاهلة خلال اثنى عشر قرنا من الزمن باسم الدين .. وكذلك أريد أن أعلن على الملأ أن الوقت قد حان لينفض الشعب اليمنى عن نفسه غبار هذه القرون الإثنى عشر ليلتحق بالقافلة الإنسانية .

لقد حدث أن كنت ممثلا بلادى فى ألمانيا منذ خمس سنوات، وخلال هذه الخمس سنوات إستلمت عددا من الشركات والأفراد الألمان بموافقة حكومتى للذهاب إلى اليمن هناك، ثم فشلوا جميعا، وبدون إستثناء، وخسروا فى بلادى رؤوس أموالهم من أدوات ونقود، فقدوا جميعا فى بلادى صحتهم وأعصابهم وسعادتهم **لسبب واحد لا يتحول ولا يتغير، ذلكم هو أن حكومة اليمن الحاضرة لا تحترم كلمة الشرف، وتحتقر توقيعها، وتتجاهل التزاماتها ولا تعير أى إهتمام إلى حقوق الإنسان،** ليس فقط ما يتصل منها برعاياها وانما أيضا ما يتصل بالأجانب، بعض من هؤلاء الألمان زارنى فى مكتبى فى المفوضية اليمنية عند ما عاد إلى المانيا ليعتب على، والغالبية من هؤلاء لم تجد أية ثمرة من إضاعة بعض لحظات لمجرد أن تأتى إلى لترانى، إنى لا ألوم أحدا من هؤلاء، بل على العكس من ذلك أننى أشعر بالأسف والخجل لما تكبدوا فى بلدى من المشاق، من أجل ذلك أشعر بكلتا المسئوليتين الشخصية والوطنية لآشرح لهؤلاء، ولغيرهم ممن يحتمل أن يكونوا الضحايا المقبلة لهذه الحكومة، لماذا كان هذا الفشل، وكيف تحول مجد اليمن العظيم إلى إنهيار كامل، وهل سيستمر هذا الوضع المحزن أم سيختفى من الوجود ليفسح المجال لحياة أفضل وتعاون مثمر بين بلادى والبلاد الصديقة الأخرى .

سيداتى وساداتى ..

إن خطابى سيحاول الإجابة على هذه الأسئلة، لماذا، كيف، هل ... ولكنى قبل أن أبدأ فى ذلك أريد أن أوضح أنه بعد أن رفض ملك اليمن إقتراحاتى الأخيرة للإصلاح تظاهرت بالمرض وغادرت البلاد لأنجو من الموت ثم أبرقت إليه أننى لا أعتبر نفسى منذ ذلك الوقت موظفا فى حكومته لأننى لم أعد أطيق سكوتى بينما يموت الشعب جوعا .

وحكومته تضاعف قوة المجاعات وتستزيد من نشر الخوف والرعب وبلبلة الأفكار، وقد أجابنى الملك برفض إستقالتى غير أننى لا أزال مصرا عليها متمسكا بها لتنطلق يدى وإنضم إلى الشعب فى نضاله من أجل الإصلاح الذى أود من صميم قلبى أن يكون سليما وإذا أمكن بموافقة الملك الأمر الذى لا يبدو ممكنا اللهم إلا إذا تحققت المعجزة لتجنب شعبنا إراقة الدماء المتواصلة التى تقرأون عنها فى الصحف من وقت إلى آخر كما لو كانت أحداثا يومية عادية من أحداث اليمن .

تعريف باليمن

سيداتى وسادتى

منذ الربع الأخير من القرن الثامن عشر واجهت اليمن صعابا سياسية حرمت حكومتها من ممارسة سيادتها الشرعية فى جزء من أراضيها وهو عدن وما يسمى بالمحميات، ويبلغ الجزء الباقى نحو مائتى ألف كيلو متر مربع، ويبلغ تعداد السكان نحو أربعة ملايين من بينهم نصف مليون قد هاجر لينجو من الأحوال القاسية التى سأشرحها تباعا .

ينتمى نحو ثلث السكان إلى المذهب الزيدى الذى يصر إلى رشتراط كون الإمامة مقصورة على نسل النبى محمد، وبقية السكان تنتمى إلى المذهب الشافعى الذى لا يعترف بشرعية مثل هذا الشرط الذى لم ينص عليه القرآن ولم يقل به الرسول نفسه، والذى يحرم الأمة من عباقرتها إذا لم يكونوا من نسل الرسول، والذى يقلب الدين إلى سياسة ويحول العبادة من الله إلى الأشخاص .

اليمن عضو فى الجامعة العربية والأمم المتحدة وموقعة على إتفاقية إعلان حقوق الإنسان، ويتكون الجهاز السياسى الإدارى فى اليمن من شخص الملك فقط الذى يعين الوزراء وهم غير مختصين ولا مسئولين وشرط كفاءتهم الوحيد هو خضوعهم الأعمى للملك صاحب الكلمة العليا المقدسة الواجب تنفيذها مهما كان الأمر بدون منافسة .

لماذا تدهور حالنا ؟

اليمن صاحبة ماض مجيد وحضارة من أعظم الحضارات التى يمكن أن يذكرها الانسان، وقد ذكر القرآن مجدها الخالد، ولكن اليمن اليوم .. يمن أخرى .. يفنى الشعب جوعا بالرغم من موارد البلد الطبيعية الغنية، مياه .. أرض خضراء .. ومعادن من بينها الذهب .. الفضة .. الحديد .. الفحم .. والنحاس .. اذن .. فما هو سبب تدهور اليمن؟ هل كان أجدادنا خيرا منا ؟ وليس معنا الآن سوى أن نمجد ماضينا، وننثر عليه باقات الورود .. ولا نرى فى حاضرنا غير عقود المآسى .. عرائس الوحوش .. صحيات الألم والمرض والجوع .. دون أمل ولا مستقبل ؟.

لماذا تتغير الحياة وتتدهور أحوالها .. فيقبح الوجود الجميل .. ويتحول الأمل إلى ذكرى، والمجد إلى الأطلال .. وتصبح اليمن ضعيفة .. فقيرة .. ومتخلفة ..

هل هى عدالة القدر التى طعنت مجدنا العظيم ؟. **أو هو تآمر الأئمة الحاقدين الجاهلين الذين خدعوا أجيالنا ؟.**

لماذا تتفاوت الدول من حيث الرخاء والرفاهية؟ هل هى المواد الطبيعية التى تفرق بين درجات ثراء الدول ؟ حقيقة أن بعض أسباب هذا التفاوت يرجع إلى التفاوت فى الموارد الطبيعية، ولكن من المشاهد وجود تفاوت كثير بين درجات ثراء الدول التى تملك موارد طبيعية متشابهة تقريبا ولذلك يجب البحث عن أسباب هذا التفاوت فى السلوك البشرى يؤثر فى التقدم الإقتصادى ويحدد مآل الأمة أما إلى المجد أو إلى تدهور .

سيداتى وسادتى :

إذا بدا من أمة من الأمم سلوكان متعارضان فى مراحل متخلفة من مراحل تاريخها، ستجدون تفسير ذلك فى صميم تاريخها وبيئتها، وإذا تعرضت أمة من الأمم لصعاب قاسية فوجدت فى ذلك يأسا وتدهورا، أو إستمدت منه قوة وتشجيعا وأملا فى إجتياز هذه الصعاب، فان ذلك يرجع إلى تكوين هذه الأمة العضوى وبنائها الاجتماعى ليس فقط فى الوقت الحاضر بل منذ عدد من القرون عند ما بدأت تقاليدها تتكون .

وهذا يرجع بنا فى اليمن إلى إثنى عشر قرن خلت عندما إدعى أفراد من نسل النبى محمد إقتصار الإمامة عليهم أى أن يصبحوا ملوكا باسم الدين، هذه الدعوى لم تقبلها أغلبية المسلمين فى ذلك الوقت فقتل كثير من هؤلاء وأسيئت معاملة بقيتهم حتى إحتمى بعضهم فى اليمن حيث وجد ترحيبا وإستقبالا قلبيا، فاستوطن هؤلاء اليمن وعملوا تدريجيا على تحويل هذا الترحيب إلى نفوذ سياسى حتى إحتكروا الحكم وأغلقوا الطبقة الحاكمة على أنفسهم وحدهم وباسم الدين، لقد حولوا الحكم إلى عبادة بينما ينص القرآن على (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وينص القرآن كذلك على أن الأمر شورى وأنه لا تمييز بين الناس بسبب الأصل ولا اللون، ولا الثراء ولا القوة، وإنما يتمايز الناس فيما بينهم بسبب مثلهم العليا والقدرة على العمل المخلص وقول الحق .

لقد كان الأئمة الذين تعاقبوا على حكم اليمن يعلمون أن مثل هذا الشرط ما هو إلا شرط دخيل غريب على الإسلام وعلى منطق الدين وكانوا يتوقعون أنه سيأتى اليوم الذى يلفظ فيه الشعب اليمنى هذا الشرط الدخيل الغريب المنافى للدين لذلك عملوا بكافة السبل على إعاقة نمو الوعى القومى والرأى العام فى البلاد .

لقد دأبوا على تسليم الوظائف الحساسة لأبناء هذه الأسرة ومن يتبعهم من العلويين بثقة عمياء، لقد إحتقروا التعليم ومسخوه بل وحرموه بسبب خطورته الكبرى على سلطانهم .. لقد حولوا الدين إلى حزبية ووقفوا فوق التفرقة الطبقية، نشروا الكراهية والبغضاء والخلافات بين الطوائف الدينية، نهبوا الرعايا، أقاموا العراقيل أمام الكفاءات، شجعوا البطالة والعقم وإحتقروا العبقرية مفضلين عليها النسب .

ومنذ ذلك التاريخ بدا تدهور اليمن .

كيف يعيش اليمنيون

والأن تصارع أغلبيد الشعب من أجل لقمة العيش, وبصراع عنيف يستخلص هؤلاء القةم من الأرض النزر اليسير الذى يبقيهم على قيد الحياة، وفى كل عام تزورهم المجاعات لعدة أشهر وتفتك بهم دائما وفى كل حين الأوبئة، الجدرى, الملاريا, الحمى الصفراء والسل بينما لا تعيرهم الحكومة أى اهتمام، نصف أولادهم يموتون قبل سن العاشرة، وعند الأربعين تتجعد نساؤهم وتخور قواهن من عناء العمل، وتشهد الاحصاءات بأنه فى سنة 1946 كانت صادرات اليمن من البن وهو المحصول الرئيسى أثنى عشر ألف طن ثم بدأ يتدهور حتى وصل فى العام الماضى الى ما لا يزيد عن أربعة ألاف طن وهذا يعنى أن ثلاثة أرباع محصول البلاد الرئيسى قد تلاشت دون أن تستبدل بمحصول أخر .

والأن صادرات اليمن أقل من وارداتها ويتوازن ميزان المدفوعات لثلاثة أسباب :

أولا: مساعدات المهاجرين اليمنيين الذين هاجروا للعمل فى الخارج فهم يرسلون مساعداتهم الاختيارية لمن يعولون فى اليمن أولئك الذين لسبب أو لأخر لا يمكنهم ترك الوطن .

ثانيا : التجاء المحتاجين الى مدخراتهم العينية والنقدية فى أوقات الرخاء .

ثالثا : انفاق الحكومة على أغراضها العقيمة الفاشلة من الأموال السابق اكتنازها منذ قيام الدولة .

مضايقة المهاجرين

والوسيلة الأولى لا يمكن أن تستمر لأنه لسوء الحظ اكتشفت الدول التى يعمل بها المهاجرون اليمنيون لآنهم منافسون لرعاياها بسبب كونهم على درجة أكبر بمعرفة الأساليب التجارية فلهم تاريخ متواصل من الدربة التجارية أكثر من الناس الذين يعيشون بينهم ولذلك يميلون عادة الى النجاح . وعلاوة على ذلك، يميل المهاجرون عادة الى التجمع ومساعدة بعضهم بعضا وهذا يساعد على ازدهار الجالية بوجه عام . وفى مثل هذه الدول توجد عادة الدعوة الى حمايد أصحاب المهن من الرعايا من منافسة المهاجرين لهم فى حدود معينة .

لقد سنت الدول التى يعيش فيها المهاجرون اليمنيون قوانين فى هذا الخصوص لتحتفظ هذه الدول بالعمل لرعاياها وحدهم ومنعت تحويل أموال المهاجرين اليمنيين الى اليمن الا فى نطاق المملكة العربية السعودية والسودان والحبشة حيث توجد أغلبية المهاجرين اليمنيين قوانين بهذا المعنى فى الأعوام الماضية .

وفى هذه الحالة سيجد اليمنيون الذين يعتمدون فى داخل اليمن على هذه المساعدات أنهم مضطرون الى المزيد من اخراج أموالهم السابق ادخارها ليأكلوا منها وليحتفظوا بنفس مستوى المعيشة. غير أن معظم هؤلاء قد استنفدوا كل ما عندهم الامر الذى يعنى أيضا انهيار الوسيلة الثانية من وسائل توازن ميزان المدفوعات فى اليمن. وعندئذ يصبح الحل البديل لذلك هو أن يقبل هؤلاء الناس العمل داخل اليمن بأى شرط وبأى أجر ولكن امكانيات زيادة العمل فى اليمن فى ظل الظروف الحاضرة لا تسمح بذلك . ومصير الوسيلة الثالثة لا يعدو مآل الوسيلتين السابقتين فالحكومة قد أتت بجنون على كل الاحتياطى القومى وأنفقته على أغراضها العقيمة. لقد أوقفت فعلا رواتب موظفيها فى جميع أنحاء البلاد لعدة أشهر وأصبحت تسلم راتبا واحدا لكل ثلاثة أشهر .

انها تدعى ان خزانة الدولة قد أفلست ولكنها تعنى حقيقة أن تحول تفكير الشعب من النشاط السياسى ليستغرق الشعب فى التفكير فى البحث عن كسرة من الخبز أو عن شئ يستر به عورة موتاه .

والنتيجة هى أن اليمن تمر من توازن الى توازن مواجهة انكماشا شديدا حيث يموت الكثيرون جوعا كما فعل الكثيرون فعلا .

تدعيم الميزانية بالموت

ويبدو أن نظرية الفيلسوف الاقتصادى (مالتس) بشأن العلاقة بين السكان ووسائل المعيشة مطبقة الأن فى اليمن بمعنى أن ميزان المدفوعات فى اليمن الذى كان يتوازن بواسطة الوسائل الثلاث السابق ذكرها، سيستمر فى التوازن بواسطة نقص الاستهلاك وانخفاض مستوى المعيشة والمزيد من الوفيات ليبقى التعادل بين الواردات وبين الصادرات المتناقصة.

سيداتى وسادتى ..

يدل أن تعبئ الحكومة اليمنية جهودها لتجنب الشعب من الموت جوعا، اشترت فى سنة 1956 من الاتحاد السوفيتى كمية كبيرة نسبيا من الأسلحة التى لا تحتاج اليها اليمن مطلقا. بعض هذه الأسلحة مائة دبابة من أحدث وأثقل الدبابات، وعلى سبيل المثال فقد كان، يكفى

ثمن الدبابة الواحدة لشراء خمسين مضخة (بومبة) مائية كاملة وحديثة لحل مشكلة الرى فى اليمن، كل مضخة تكفى لرى عشرين فدانا الأمر الذى يعنى أن الحكومة كانت تستطيع أن تشترى لنا بدلا من هذه الدبابات الغير مفيدة والغير لازمة خمسة آلاف مضخة مائية وتروى بذلك مائة الف فدان وتوظف ألاف آلاف وآلاف العمال (الشقاة) فى اليمن. ويمكن بذلك الحصول على دخل سنوى يقدر بعشرين مليون جنيه استرلينى. فاذا كانت الحكومة قد اتبعت نصيحتى هذه سنة 1956 لكنا قد استطعنا منذ سنة 1957 أن نحصل من جزء فقط من هذه الأسلحة على دخل اجمالى قدره ثمانون مليون جنيه استرلينى وهذا يتضاعف اقتصاديا الى درجة أكبر نظرا لحقيقة كون الميل الجدى للاستهلاك مرتفعا كثيرا فى اليمن الفقيرة . **ولكن الحكومة اشترت هذه الأسلحة وخزانتها فى ميناء الحديدة البحرى وفى باجل فى العراء معرضة للرطوبة دون أية عناية حتى تلفت من الصدأ ولم يدفع ثمنها حتى الأن .**

ادعاء كاذب

وعندما نسأل الحكومة لماذا اشتريت هذه الأسلحة عودتنا على اجابة لا تتغير وفحواها انها تهدف الى طرد الاستعمار البريطانى من جنوب اليمن (عدن ومايسمى بالمحميات).

وبالرغم من سلبية الاعتماد فقط على هذا الأسلوب فى استعادة أراضينا، كنا نقول لحكومتنا، حسنا .. **دعى الجيش اليمنى يتدرب على هذه الأسلحة قبل أن تخوض المعارك ضد السلطات البريطانية .. استميلى شعبنا داخل أراضينا الحرة ليرضى عن حكومتنا فلا يهاجر فرار منها، دعى الشعب فى الأراضى المحتلة يرى مستقبلا حسنا فى العودة الى الوحدة** . وكل هذا يعنى أن نبدأ أولا بالاصلاح .. لان الاصلاح ولا شئ غير الاصلاح هو الطريق الوحيد الذى يؤدى الى هذه النتائج بنجاح .

ولكن الحكومة تعتقد أنها لا تستطيع أن تستمر على كراسى الحكم اذا بدأ الاصلاح ولذلك لم يتدرب الجيش اليمنى على هذه الأسلحة الحديثة ولا تزال حكومتنا تدعى أنها تقف ضد استعمار هذا الجزء الغالى العزيز من بلدنا .

أننى أستعمل كلمة (تدعى) لأننى واثق كل الثقة من أن الحكومة لم تفكر باخلاص فى يوم من الأيام فى استعادة الوحدة اليمنية، بل على العكس لقد عملت دائما ضدها ، انها تستخدم هذه الدعوى لمجرد أن تصرف انتباه شعبنا من التفكير فى مشاكلنا العاجلة التى هى نظام الحكم الفاسد ليصبح الشعب غارقا فى مشاكل مع السلطات البريطانية. كما تستعمل الحكومة هذه الدعوى لتحوز عواطف العالم العربى بادعائها أنها تقف ضد الاستعمار البريطانى .

سيدات وسادتى ..

أننى أعلن مزيد الأسف وببالغ الخزى والخجل أن حكومتنا لم تكن ولن تكون مخلصة فى طلب هذه الوحدة اليمنية .

أن الحكومة التى تحول مواردها الغنية وأراضيها الخضراء الى صحراء عقيمة جرداء لا يمكن أن تكون مخلصة عند ما تطلب المزيد من الموارد والأراضى .

أن الحكومة التى تنهب مواطنيها .. تستزيد من مآسيهم .. تستعجل وفاتهم وتحثهم على الهجرة لمجرد أن تستطيع البقاء فى الحكم لا يمكن أن تكون مخلصة عندما تطلب المزيد من المواطنين، الأمر الذى لا يعنى سوى المزيد من الخطر على بقائها .

والآن تكرس الحكومة كل جهودها فى استخدام بعض هذه الأسلحة فى قتل رعاياها لمبرر لا يعدو تعبيرهم أما عن اليأس من الحياة وأما عن الأمل فى الاصلاح .. **تقتلهم لجرم ليس أخطر من تصريحهم بعدم الرضا .. تقتلهم لاثم ليس أعظم من فشلهم فى اخفاء الألم .. أما أولئك الذين فى وسعهم أن يموتوا جوعا فى سرية تامة وباخلاص .. فأولئك هم الذين قد يسعدهم الحظ بالنجاه من السيف .**

يفسدون حتى الصدقات !

لقد كاد الشعب يموت جوعا سنة 1959 فأرسل الاتحاد السوفيتى الى اليمن عشرة ألاف طن من القمح كم تطوعت الصين الشعبية بعشرة ألاف طن من القمح. وخمسة ألاف طن من الدقيق. وأرسلت الولايات المتحدة الأمريكية معونة مقدارها خمسة ألاف طن من القمح وعشرة ألاف طن من الدقيق .

غير أن الحكومة اليمنية اختزنت هذه المعونة فى موانيها ورفضت نقلها الى مستحقيها فى الداخل مدعية أنها لا تستطيع الانفاق على نقلها من الموانئ الى داخل البلاد. حسنا .. لقد حولت الصين وأمريكا والاتحاد السوفيتى الى الحكومة اليمنية أموالا نقدية كافية لنقل هذا القمح وهذا الدقيق من موانئ اليمن الى شعب اليمن الجائع، وبالرغم من ذلك لا يزال معظم هذه المعونة مخزونا فى الموانئ فى العراء معرضا للأمطار والرياح والحشرات, وبعد أن طال الأجل على بقاء هذه المعونة على هذا الشكل تطورت الحشرات التى فتكت بهذه المعونة وتحولت من حشرات تدب على الأرض الى حشرات طائرة وهى الأن تقض مضجع الأهالى. وفى الحديدة حيث أقمت فى الفترة ما بين أكتوبر سنة 1959 وفبراير سنة 1960 رآنى أحد الدبلوماسيين الأجانب فى اليمن وسألنى عن أسباب فشل تطور الكشف عن البترول فى اليمن فأجبته قائلا أنها نفس أسباب تطور هذه الحشرات . وحتى الأن لا تزال الحكومة تدفع جزءا من راتب موظفيها من هذا القمح والدقيق .

ولايخفى ممثلوا أمريكا وروسيا والصين فى اليمن شكواهم من هذا التصرف كما لا يخفى شعب اليمن موتاه الذين يوافيهم الأجل من شدة الجوع .

القروض للاثراء

فاذا كان ذلكم هو مسلك الحكومة نحو الهبات التى تعطى الشعب الجائع دون مقابلو فان سلوكها نحو القروض التى نحصل عليها لهو أسوأ وأضر سبيلا، أنها تستجدى القروض باسم الاصلاح مدعية أنها ستستخدمها من أجل رفاهية البلاد ولكنها تخفى معظمها فى الخارج وتتلف أقلها فى الداخل على أغراضها العقيمة .

ولقد انتشرت فى العالم تصرفات حكومتناو وعدم قدرتها على الوفاء بتسديد ديونها، وغريزتها فى عدم احترام الالتزامات والمسئوليات كل ذلك قد أصبح مفضوحا تماما فى جميع أنحاء العالم .. وهذا يعنى أن الحكومة المقبلة ستصادف مأزقا حرجا .. فاما أن تستزيد من مكانتها الدولية بالوفاء بالقروض التى أتلفتها الحكومة الحالية وبذلك تستنزف

موارد الدولة المحدودة فى الوفاء غير العادل لهذه الديون، وأن تلتزم شعورها الانسانى فتتجاهل جميع دعاوى كل حكومة تعلم على وجه التحديد والتأكيد مسلك الحكومة الحاضرة ورغم ذلك تتوج رأسها بقروض لأسباب سياسية لا تخفى على أحد. أننى لا أعنى التهديد بأن الحكومة المقبلة لن تكفر عن سيئات الحكومة الحاضرة، ولكننى الفت النظر الى أن حكومة الاصلاح ستحتاج الى كل درهم من أموال الدولة لاستخدامه فى برامج الاصلاح, أننى أدعو الرأى العام العالمى ليتبين هذه الحقيقة .. ليشعر بالمسئولية الانسانية .. ليلمس مأساة شعبنا .. ليمنع القروض عن مثل هذه الحكومة الا اذا وجدت الضمانات التى تكفل استخدام هذه القروض من أجل رفاهية البلاد وسعادة الشعب الذى سيطلب منه تسديد هذه القروض فى المستقبل .

ما هو منبع الشر ؟

سيداتى وسادتى ..

الان يأتى السؤال .. هل سيستمر هذا الوضع الفاسد أو سيتغير ليفسح المجال للاصلاح؟

الجواب .. التغير آت لا شك فيه .. والضغط قد بلغ حد الانفجار ..

منذ عام 1948 قامت ثلاث ثورات فى اليمن غير أنها لم تكلل بالنجاح لأنها الى جانب الأخطاء التى لازمت الخطط التى اتبعتها لم تعلن عقيدة تجمع الشعب حولها ولم تقم بدراسة نفسية الشعب والتأثير الدينى الذى أتقن نظام الحكم استخدامه لمصلحته .

ففى بلد كاليمن حيث لا يوجد نظام ديموقراطى ييسر حفز الدولة للاصلاح كما لا يوجد جيش منظم منضبط يفرض الاصلاح بقوة السلاح، فان الاصلاح سيتوقف دائما على عقيدة الجماهير واقتناعها بوجوب الوقوف صفا واحدا خلف الدعوة الى الاصلاح .

فيجب أن يحاط الشعب اليمنى علما بالأسباب الحقيقية لمآسيه وبؤسه، يجب أن يعتقد الشعب اليمنى أن الدين قد يمنعه من العيش بطريق معين ولكنه لا يحرم عليه أن يرفع مستوى معيشته ما دامت أساليب رفع مستواه لا تسلك سبيل المعاصى. يجب أن يعلم الشعب أن فقره ليس ضروريا .. يجب أن يعلم الشعب أن الناس عامة قد فقدوا مصلحتهم فى مضاعفة انتاجهم وهاجروا من البلاد بسبب فساد الأنظمة الحاضرة التى جعلت التفكير المتسائل خطرا، والتى أعاقت الاستثمار بالاحتكار وبلبلة الأفكار والرعب والضغط المتزايد على الشعب .

احتكار حقوق السيادة

يجب أن يعلم الشعب أن طبقته الحاكمة قد فسدت وتآكلت وانقرضت وأتلفها الصدأ لأنها أغلقت نفسها ولم تتجدد .

ان الطبقة الحاكمة السليمة هى تلك التى تسمح بسقوط ضعافها الى قاع المجتمع وتسمح فى كل جيل من الأجيال بأن يرتفع الى مستواها عباقرة الطبقات المحكومة لينضموا اليها والا فان الحل البديل هو الثورات لتفرض هذا الانتقال العمودى الذى لابد منه. وكذلك انه من الضرورى تغذية الطبقة الحاكمة ثقافيا . والا تحولت الأساليب القديمة فى العمل الى

اساليب مقدسة وهكذا يسيطر التفكير الرجعى العتيق على تصرفات الحكومة فى زمن متغير يتطلع الى التجديد والنهضة .

يجب أن يتأكد الشعب اليمنى انه طالما ظل نظام الحكم فى اليمن يحصر الامامة والوظائف الكبرى على هؤلاء الهاشميين الذين نشأوا فى ظل هذه التقاليد الفاسدة فان تدهور البلا سيستمر. يجب أن يعلم الشعب اليمنى أن الطبقة الهاشمية الحاكمة فى اليمن لا تريد الاصلاح لان مظهرها وعاداتها وامتيازاتها الاقتصادية والاجتماعية ستزول عندما يبدأ الاصلاح .. انهم يريدون من الشعب أن يستمر فى تقبيل ركبهم .. انهم يريدون أن تبقى الامامة والوظائف الكبرى من ممتلكاتهم ولذلك يقفون دائما فى طليعة العوائق التى تحول دون التطور الاجتماعى الى العدالة الاجتماعية .

ان استمرار أى نظام اجتماعى فى وضع معين يتوقف على ملاءمة هذا النظام للشعب أو على الاعتقاد بشرعيته اذا لم يكن ملائما أو على القوة الحكومية اذا لم يكن ملائما للشعب ولم يعتقد الشعب بشرعيته، وفى حالة اليمن تئن أغلبية الشعب من عدم ملاءمة الحكم لها ولا تعترف بشرعيته ولكنها مضطرة الى الخضوع له واظهار الولاء لنظام الحكم تحت الارهاب بسيوف الجلادين .

ان الكثيرين من اتباع المذهب الزيدى الذى ابتكر هذا الشرط الغريب على الدين وهوحصر الامامة فى الأسرة الهاشمية قد اصبحوا يرحبون بالتغيير الجذرى من أجل تطور البلاد ونهضتها لأنهم قد اصبحوا هم الأخرين ضحايا هذا الوضع الاجتماعى الفاسد فى اليمن.

المعرفة سبيل الحرية

يجب أن يعلم الشعب اليمنى أن هجرته يمكن أن تقف وأن جماهير الشعب يمكن أن تخلق من أرض اليمن جنة النعيم لتحى حياة افضل اذا وقفت هذه الجماهير خلف دعوة المصلحين، يجب أن يعلم الشعب اليمنى أن مجده العظيم قد توارى لان الامة قد مرت بعصور طويلة فى ظل التقاليد الفاسدة والأئمة المستبدين الذين خلقوا النظم التى تحمى بطشهم وظلمهم وتغلق المجتمع وتفقره وتستذل الشعب ليبقوا هم وحدهم أسياد الأمة .

لقد كان ممكنا فى الماضى أن يتوارى المجد ويتحول الى أطلال لان الشعب اليمنى لم يكن يعلم كثيرا عن النهضة أو عن الأساليب التى تعوقها، لقد فقد الشعب اليمنى حريته باسم الدين لان الشعب لم يكن يعلم شيئا عن السياسة ليميلا بين الاعتداء على الحرية وبين الاعتقاد فى الله ليقوم بالدفاع المناسب ضد هذا الاعتداء على الحرية الذى يستخدم اسم الدين والدين منه برئ، لقد فقد الشعب حريته لانه سمح بأنظمة تفقده هذه الحرية .

يجب أن يعلم الشعب اليمنى أن الاصلاح الذى يحقق له النهضة الاقتصادية فى ظل نظام ديموقراطى سيخلص الشعب من ذلك الحكام وقسوة الطبيعة. وأن الوسائل الحديثة سوف تساعد على انتاج المزيد من الدخل القومى والمزيد من الطعام بأقل من المجهود والعمل الذى يبذله الشعب حاليا . ستختفى المجاعات، ستقل نسبة وفيات الأطفال وكذلك ستتناقص نسبة الوفيات بصفة عامة, وبذلك تتخلص حياة الشعوب من معظم أخطار الطبيعة. فاذا كان هناك من يعتقد أن الموت خير من الحياة وأن الأفضل ألا يولد فانه لن يهمه أن يستمع الى ندائى ولا الى دعوة أى مصلح. ومن حسن الحظ أن معظم شعبنا اليمنى لا يزال على بداءته بحيث لا يزال يعتقد اعتقادا جازما أن الحياة أفضل من الموت .

فى المجتمعات الفقيرة كاليمن يقوم ستون أو سبعون فى المائة من أبناء الشعب بالأعمال الزراعية لانتاج الطعام بينما فى المجتمعات الأكثر رخاء يكفى اثنا عشر أو خمسة عشر فى المائة من أبناء الشعب لانتاج ضعف مستوى ما تنتجه المجتمعات الفقيرة من الطعام. ولذلك تستطيع هذه الشعوب أن تدخر عددا أكبر من أبناء الأمة للقيام بنشاط أخر .. ليكونوا أطباء، ممرضين، مدرسين، ممثلين أو مرفهين عن الشعب .

استعادة انسانية المرأة

وفى اليمن ستستفيد المرأة من الاصلاح أكثر من الرجل لان المرأة فى اليمن كالآلة المرهقة، تقوم فى البيت بأعمال تقوم بها الآلات فى الدول الأخرى، تسير على قدميها أميالا لتحضر جرعة ماء أو حزمة حطب وهكذا ..

الاصلاح الاقتصادى سينقل هذه الأعمال وغيرها الى منشآت أخرى حيث تتم بتخصص وكفاءة وبرأس مال كبير مستفيدة من الانتاج على نطاق واسع وتدخر المرأة المينية لأغراض أخرى انسانية .. وستحظى المرأة اليمنية على الأقل بالفرصة لتصبح انسانا كاملا، لتمارس عقلها وكفاءتها كما يفعل الرجل . فاذا كان السؤال معروضا على الرجال ليناقشوا هل الاصلاح الاقتصادى يفيد الرجل أم لا ؟ فان هذا السؤال بالنسبة للمرأة اليمنية لتناقش الفائدة من الاصلاح من عدمها انما هو بمثابة التساؤل هل المرأة اليمنية يجب أن تعطى الفرصة لتكف عن كونها دابة من دواب الحمل لتشترك فى الانتماء الى السلالة البشرية أم لا.

بداية الاصلاح

سيدات وسادتى ..

بعد هذا الايضاح لقد أصبح مؤكدا لديكم أن الاصلاح فى اليمن يتطلب استبدال الطبقة الحاكمة بنظام حكم صالح . فاذا تم ذلك تكون أولى العقبات أمام النهضة الاقتصادية قد زالت. وبالرغم من أن الطبقات التى تعوق النهضة لها صفات التبادل من حيث الاثر، الا أنه توجد دائما عقبة أكثر أهمية من العقبات الأخرى، وعلى سبيل المثال، كان آدم سميث يرى ومن بعده قائمة طويلة من الاقتصاديين الاحرار أن المطلوب لتشجيع النهضة الاقتصادية هو الأنظمة الاجتماعية والسياسية الصالحة، فاذا وجدت هذه الأنظمة الصالحة لم يبق بعد ذلك حاجة للتفكير فى كيفية تشجيع الرغبات فى زيادة المجهود' أو فى الاستزادة من المعرفة، أو فى الاستزادة من رؤوس الأموال حيث أن كل ذلك ما هو الا غرائز بشرية تعوق ظهورها الأنظمة الفاسدة. ومن الناحية الأخرى كان يرى (مالتس) ان احدى العقبات الكبرى فى الدول المتخلفة هى (عدم كفاية الطلب) وهو ما تترجمه فى عصرنا الحديث بأنه (زيادة تفضيل الراحة على العمل) أو (زيادة تفضيل الفراغ على الدخل)، وكانت مدرسة أخرى تضغط على انخفاض المهارة الفنية باعتبارها عنق الزجاجة التى يعوق التقدم الاقتصادى، ولذلك تركز مشروع الرئيس ترومان لمساعدة الدول المتخلفة على أن المساعدة التى تحتاجها الدول المتخلفة من الدول المتقدمة هى المساعدة الفنية. بينما رأت مدرسة أخرى أن رأس المال هو حجر الزاوية، وركزت مدرسة أخيرة اهتمامها بالموارد الطبيعية .

حقيقة أن عقبة من عقبات الاصلاح قد تقف فوق جميع العقبات الأخرى فى بلد ما وفى وقت ما، أما باعتبار أن الأسهل البدء بازالة هذه العقبة أو لأى اعتبار أخر .

وفى اليمن أعتقد أن العقبة الكؤود أمام الاصلاح هى الأنظمة الفاسدة (الحكومة الفاسدة ونظام الحكم الفاسد) فاذا تغيرت هذه الأنظمة فعندئذ سيتدفق العلم ورأس المال حتما .

ان الانظمة تشجع النهضة بحسب درجة ربطها بين المجهود ومحصول هذا المجهود .. بحسب النطاق الذى تسمح له للتخصص والتجارة .. وبحسب الحرية التى تسمح بها للبحث عن الفرص الاقتصادية والانتفاع بها، فعندما تسمح الأنظمة بهذه الفرص فان الناس سيكيفون عاداتهم على هذا النحو تدريجيا .. ويترتب على ذلك أن التغير الجذرى يقول نفسه بنفسه بصفة تلقائية جماعية. فاذا بدا الاصلاح الاقتصادى ستتغير التقاليد بصفة مستمرة فى اتجاه مناسب ومضاعف للنهضة الاقتصادية وبذلك تتقوى العناصر التى تصنع النهضة .

سيداتى وسادتى ..

ان على الحكومات أن تقوم بدور الطليعة فى المجالات التى تفشل فيها الجهود الخاصة. ويتوقف مدى ما يطلب من الحكومة على مقدار ونوع المستثمرين اصحاب الجهود الخاصة وعلى مدى ميلهم نحو تحمل المخاطر. فكلما كانت الدولة متأخرة كلما اتسع النطاق الذى يلزم أن تقوم الحكومة بدور الطليعة .

اصلاح الحكم بداية التطور

فلم تحرز اية دولة تقدما اقتصاديا دون استمالة ايجابية ذكية من حكومتها الذكية . واننى لا اقول أن استبدال النظام السياسى فى اليمن بغيره هو المشكلة الوحيدة التى علينا حلها وانما أوضح ببساطة أنه يحسن فى بعض الأوقات أن يركز المرء انتباهه على المشكلة الأساسية باستبعاد معظم المشاكل الأخرى. ولكن ذلك مجرد (تكتيك) مؤقت أى العنصر الأول من الخطة العامة بمعنى أنه اذا نجح المرء فى ازالة العقبة الرئيسية فان النتيجة هى أن تظهر العقبات الأخرى التى يلزم حلها تباعا. وعلى ذلك، بالرغم من أنه قد يبدأ المصلحون بالانتباه الى العنصر الأول من الخطة العامة. فانه يجب عليهم أن يضعوا فى اعتبارهم أن هناك تغييرا كبيرا وتعديلا شاملا خلف العقبة الرئيسية التى بدأوا بازالتها وذلك اذا كانوا يريدون نجاحا كاملا لخطتهم الاصلاحية الجذرية .

يجب أن نقوم بمنتهى العناية باعداد برنامج شامل يحرك موارد الأمة فى الاتجاه الصحيح .. يدرب العمال (الشقاة) .. يستميل انتاج المواد الغذائية .. يضبط الاستهلاك .. يرغب الناس فى الاستثمار وما الى ذلك .وهذه هى أصعب مرحلة من مراحل التخطيط الى درجة أن البرنامج المتعلق بالقطاع العام من الاقتصاد القومى يبدو الى جانبه سهلا نسبيا، فالصعوبة تكمن خلف توجيه العمل نحو القطاعات الصحيحة، أو استمالة العمال الى الانتظام فى البرامج الدراسية الفنية، والعمل من أجل أن يقوم أصحاب رؤوس الأموال باستثمار أموالهم ومنأجل أن يقوم الشعب بالادخار والزراع يتبنى الوسائل الفنية الحديثة فى الانتاج وأن يقوم الاجانب بالدور الملقى على عاتقهم كمقرضين أو مشترين أو فنيين. أن حجر الزاوية فى اختبار مشروع النهضة الاقتصادية يرتكز على مدى فعاليته مع الأفراد والمنشآت الخاصة فى ظل نظام ديمقراطى .

سيداتى وسادتى ..

ان النهضة الاقتصادية من الصعوبة بمكان حتى أنه يلزم الاقتناع بأنه من المستحب تعبئة كل الجهود .. يلزم الاقتناع بأنه من المستحب تعبئة كل الجهود .. جميع المعارف .. وشتى الامكانيات..

العمل الشاق المنتج المتواصل المدروس مع تنمية رؤوس الأموال هما أحسن تركيب علاجى للنهضة الاقتصادية، والسؤال معروض على الجميع .. هل من الأفضل أن يفكر المرء جديا فى فرصه الاقتصادية ليتقدم ماديا ويرتفع مستوى معيشته، أو لا يشغل باله بهذه الأمور ويبقى فقيرا بائسا لا حول ولا قوة .

سيداتى وسادتى ..

اننى اعتذر لكم فقد استبقيتكم فترة طويلة لتستمعوا الى خطابى ولكننى أرجو أن أراكم فيما بعد برأس مرفوع .. بعد أن تكفر عن فضائح حكومتنا الحاضرة .. بعد أن ننفض عن أنفسنا غبار الزمن .. بعد أن يحصو اخوانى أبناء الشعب اليمنى من غفوتهم ليجعلوا يأسهم قوة وبأسا .. فتصبح أحلامهم حقائق .. بعد أن تتغير طلعة الشمس لأنه سيكون بين طلعتها وغروبها تفكير دائم فى رفاهية الأمة وعمل شاق منتج لاستعادة مجدها والقضاء على الظلام واليأس والألم .

اننى لا أدعو الى اراقة الدماء ..
بل الى تغيير سلمى ..
الى القضاء على التفرقة الطبقية ..
الى القضاء على المجاعات ..
الى القضاء على الطغيان ..
أننى أدعو الى المساواة ..
أدعو الى العدالة ..
أدعو الى حياة أفضل ..

تعليقات الصحافة الألمانية
على محاضرة الأستاذ البيضانى

بلد يوشك أن ينهض

أحوال اليمن فى حاجة ملحة الى الاصلاح
صحيفة وست دوتشسى تاجه بلاث 9 – 12 – 60

قليل من الاوروبيين يعرفون شيئا عن اليمن وكثير منهم لا يعرف جيدا أين تقع. لقد سمعنا شيئا قليلا عن هذه الدولة الصغيرة التى فى جنوب غرب جزيرة العرب أن للتطورات العاصفة التى عرفت بها الدول النامية لم تلمس اليمن الا بالنذر اليسير، الامر الذى كانت له أسوأ العواقب على شعب اليمن كما أوضح بجلاء المستشار الشخصى لملك اليمن صاحب السعادة البيضانى فى قاعة (فريتز هنزلر) حيث ألقى محاضرة صورت (ماذا يجرى فى اليمن) .

لقد رسم المحاضر وهو يثير العواطف صورة مؤثرة ومنذرة بالخطر لاحوال وطنه. مجاعات وأوبئة فتاكة تصبح أمرا معتادا مألوفا، معدل وفيات الأطفال يرتفع ارتفاعا خطيرا ومستوى المعيشة ينحدر الى أقل كثيرا من جميع الدول المماثلة، بينما البلاد تزخر بالمواردالطبيعية والمواد الأولية كالبترول والمعادن. ألقى سعادة البيضانى اللوم على فساد نظام الحكم الذى أخر البلاد فالمملكة يحكمها منذ قرون عديدة أشخاص يدعون أنهم من سلالة الرسول محمد وهذه الحكومات لا تسمح بالاصلاحات لأنها تخشى على سلطانها السياسى .

حذر المحاضر الاقتصاد الألمانى من منح قرض لحكومة بلاده قائلا أن الحكومة الألمانية والشركات الألمانية يجب أن تكون قد استفادت من تجاربها مع حكومة بلاده وتأكدت من أن هذه الحكومة لا تعير أى اهتمام الى الآداب الاقتصادية الدولية .

من أجل هذه الظروف قدم سعادة البيضانى استقالته من وظائفه غير أن الحكومة لم تقبلها، وكان سفيرا فى السودان ومستشارا اقتصاديا لملك اليمن .

بناء على كلمات المحاضر نفسه، أن اصلاح هذه الأوضاع لا يمكن أن يتحقق الا اذا قام به شعب اليمن بنفسه .

اليمن تنادى الاقتصاد الألمانى
صحيفة وستفالس الجامين

فى مساء يوم الأربعاء تحدث عبد الرحمن البيضانى أمام جمع حاشد من المستمعين ضاقت بهم قاعد (هنزلر هاوس) فأوضح أن بلاده لم تلمسها حضارة العصر الحديث رغم ثروة هذه البلاد المعدنية. كان مستشار الملك سابقا فى ضيافة هيئة العلاقات الخارجية (رينس وستفالس أوسلاند جزلشافت) حيث تفقد فى دور تموند الامكانيات الثقافية والصناعية .

أعلن (السيد) البيضانى فى محاضرته ضرورة اصلاح اليمن اقتصاديا حتى يرتفع مستواها الى مستوى مثيلاتها من الدول . تحسين الموانى، انشاء شبكة لطرق المواصلات البرية، الانضمام الى شبكة المواصلات العالمية وتحسين الأحوال الصحية .. كل ذلك يجب أن يكون الشغل الشاغل المستعجل من أجل أربعة ملايين من البشر .
ويستطيع الاقتصاد الألمانى أن يتوقع دعوته الى المساهمة فى القيام بهذه الاصلاحات حالا. تستطيع اليمن أن تمنح مقابلا سخيا لهذه المساعدات الاقتصادية . من بترولها وثروتها البحرية ومحاصيلها الزراعية من بن وفواكه .

حذر (السيد) البيضانى من التعاقد مع حكومة اليمن الحاضرة قائلا أنه بحكم تجاربه يؤكد ان مثل هذه العقود لن يحترم من جانب هذه الحكومة . ومن أجل هذه الأوضاع استقال من وظيفته كسفير لحكومته فى السودان عاصمة الخرطوم. ثم استطرد قائلا أنه على أية حال قد أصبح التغيير الايجابى لوضع البلاد فى مدى النظر, وهذا التغيير سيسفر عن امكانية المشاركة والتعاقد الذى يمكن الثقة به .

ماذا يجرى فى اليمن
صحيفة رو ناخريشتن 9-12-60

كان سفير اليمن السابق صاحب السعادة عبد الرحمن البيضانى فى مدينة دورتموند حيث تحدث مع قادة الصناعة والاقتصاد الألمانى أحاديث هامة .

وقد خطب الضيف فى هذه المناسبة فى قاعة هنزلر هاوس بدعوة من هيئة العلاقات الخارجية ممثلا لشعب وطنه ذى الأربعة ملايين وكان موضوع الخطاب (ماذا يجرى فى اليمن) .

لقد نقش سعادة البيضانى فى قلوب المستمعين صورة مؤلمة لحالة بلاده التى لم تستفد من تطور الحضارة والمدنية بالرغم من أنها عضو فى الأمم المتحدة ، الشعب يموت جوعا بينما البلد غنى بموارده الطبيعية . لذلك أعلن ضرورة الاصلاح العاجل حتى تلحق بلاده بركب الحضارة وتشترك مع الدول الأخرى على قدم المساواة .

ان خطاب السفير السابق الذى حصل على وسام الاستحقاق الأعظم من رئيس جمهورية ألمانيا السابق قد أثر فى نفوس المستمعين ومشاعرهم حيث نقلهم الى قلب المأساة بصوته الحزين الباكى. يجب أن يبدأ الاصلاح حالا وبدون أى تأخير وتستطيع المؤسسات الألمانية أن تساعد فى ذلك. ويجب أن تساعد صادرات اليمن وانتاجها من البترول وأسماك البحر الأحمر والبن والفواكه وغير ذلك من امكانيات البلد على تدعيم مركزها التجارى.

يجب أن تتولى حكومة جديدة تماما حكم البلاد ..

الاتحاد اليمنى
والاتفاقيات المتوكلية مع الأجانب

يمثل الاتحاد اليمنى العناصر الشعبية التقدمية التى تعارض سياسة المسئولين فى اليمن اليوم .. وقد عقد الاتحاد اليمنى جلسة خاصة لدراسة موضوع الاتفاقيات التى يعقدها المسئولون فى اليمن مع الاجانب لتحديد موقفه منها .

وتقرر اصدار البيان التالى :

الاتحاد اليمنى يدعو على الدوام الى الاصلاح العام وينشد الرخاء والتقدم لليمن وهو لا يعارض فى قيام أى مشروع فى اليمن يكون من شأنه رفع مستوى المعيشة وتوفير الخزينة الحكومية لتنهض بالبلاد فى شتى نواحى الحياة, كما لا يعارض فى أى اتفاق يكون سببا فى تدعيم استقلال الوطن وحمايته .

الا أننا نشترط بكل تشدد أن تتوفر الضمانات الكافية على أن تكون هذه الاتفاقيات خالصة لخير الشعب وصالح الوطن .

والاتحاد اليمنى لا يجد تلك الضمانات فى غير أحد هذين الأمرين .

أما قيام حكومة شعبية فى اليمن وفق دستور يتفق عليه رجال البلاد فى جو حر نزيه .

أو اشراف لجنة قانونية تنتدبها الجامعة العربية لابرام هذه الاتفاقيات، واشراف لجان فنية على تنفيذها توفدها الجامعة العربية وينفق عليها من الخزينة اليمنية وذلك لان المسئولين فى اليمن قد أثبتوا خلال التجربة الطويلة نحوا من أربعين عاما منذ استقلت اليمن اثبت هؤلاء المسئولون انهم غير أمناء على حقوق الشعب ولا بصر لهم فى ادارة الأمور . لا سيما فيما يتعلق بالشئون الخارجية .

وعلى غير أحد هذين الأساسين يعارض الاتحاد اليمنى أى اتفاق يعقده المسئولون فى اليمن اليوم مع أية جهة كانت . وفى نفس الوقت يعلن أن الشعب غير ملزم بما قد يلحق الطرف الأخر من خسائر أوأضرار .

4 يناير 1956 (الأمانة العامة)

وقد أبلغ هذا البيان لكل ممثلى الدول الأجنبية فى اليمن كما بعثت به أمانة الاتحاد اليمنى الى مجلس الجامعة العربية والأمانة العامة مع المذكرة التالية :

سيادة الأمين العام للجامعة العربية – الأكرم

السادة الأكارم رؤساء الوفود العربية

القاهرة

تحية العروبة المناضلة والوطنية المكافحة ..

وبعد فان الاتحاد اليمنى ليبعث لسيادتكم القرار الذى اتخذه حول الاتفاقيات الخارجية التى يعقدها المسئولون فى اليمن اليوم ، وهنا نفسر ذلك القرار ونوضحه ..

الاضطراب السياسى

لم يعد الوضع السياسى الحالى فى اليمن مجهولا حتى نعيد عليكم الحديث مفصلا، فالاضطراب هو الاضطراب والخلف بين المسئولين والمواطنين على أشده والمسئولون أنفسهم منقسمون فيما بينهم داخل الأسرة الحاكمة، وكل ذلك ينذر بشر مستطير لا ينكره غير غبى أو مغالط نفسه فان الانقلابات الدامية التى قامت فى اليمن والدماء التى أهرقت لم يكن لها من سبب غير هذا الخلف الشديد بين المسئولين والشعب والا التنازع على العرش بين الامام وأخوته وولده .

الحماية من الشعب ..

واليوم وقد بدأوا يحسون أن الأرض أصبحت تميد من تحت أرجلهم وأن غضبة الشعب تكاد تسقط السماء عليهم كسفا، وأن الجو مضطرب اشد الاضطراب فيما بينهم أنفسهم اقدموا فى وسط هذه الغمرات على الاتفاق مع بعض الأمريكان ليستغل هؤلاء الموارد المعدنية جميعها فى اليمن متعاونين مع من أرادوا من الشركات الأجنبية حتى يجد المسئولون لأنفسهم سندا جديدا هو الدولار معبود الطغاة المحدثين شأنهم فى ذلك شأن الحكام الذين فقدوا القواعد الشعبية فذهبوا يحتمون من شعوبهم بقوى دخيلة تحفظ لهم جاههم ومراكزهم .

موقف الاتحاد اليمنى

والاتحاد اليمنى وان كان يتطلب كل ما يقوى الدخل القومى فى اليمن الا أننا على خبرة تامة بهؤلاء المسئولين الذين لا تهمهم غير مصالحهم الذاتية ولو هلك العالمون .. ندرك تمام الادراك أن هذه الخطوة ليست سوى توطئة وتمهيد لحلف أجنبى يعقد فيما بعد' والا يكن ذلك فابتعاد وتهرب من الأحلاف العربية والتعاون الصحيح لأن هؤلاء المسئولين يعرفون تمام المعرفة أنه لم يعد للرجعية السياسية اليوم من سند غير النفوذ الأجنبى وايران الشهيدة هى المثل المحتذى عند هؤلاء .

أن المسئولين فى اليمن اليوم يديرون مثل هذه الاتفاقية